أمثلة من الترجمة

Uwe Timm
Ikarien

Kiepenheuer & Witsch Verlag, Köln 2017
ISBN 978-3-462-05048-6

صفحات 9-28 & 51-63 & 74-99

أوفه تيم
"إيكاريا"

ترجمة هبة الله فتحي

© 2018 Litrix.de

إنه على قيد الحياة

أنا شاهد

لقد نجا من الموت

تجول في الشارع، وضحك، وصاح بشيء ما، رقص، بقلة مهارة بعض الشيء، ولكنها رقصة، وصفق بيديه. لم يره شخص من قبل. كأنه وقع من السماء، كان مدفوعًا، يتفوه بكلمات غير مفهومة، تجاوز الشارع، ومر من أمام حطام منزل يقع على الناصية، وواجهته الرمادية التي تدلت منها ملاءات الفراش البيضاء، ومن أمام دكان الحليب، ومحل الأحذية، ودكان بيع الأسماك "الأخضر". جاء أدولف أندرسن من الاتجاه المعاكس، لم يرتدِ، في هذا اليوم الربيعي، بزته البنية اللون وحذاءه الشتوي اللامع، بل لونًا أخضر لا يلفت النظر. *كل ملابسي خضراء خضراء خضراء.* كما لم يرفع، مثل الأمس، ذراعه لأعلى، ولم يصح "هايل"، لا، خلع قبعته، ألقى تحية فيها مبالغة إلى اليمين واليسار، تردد ثم توقف، قابله الصبي الراقص المبتسم وهو يمد يده بأصابعها القصيرة. صافحه أندرسن في اندهاش وإحراج، ثم استمر الصبي بخطوات ثقيلة، مُصدرًا صيحات غريبة أشبه بالغرغرة، صرخات، بلا ألم، أقرب إلى اللذة، ربما الاثنين معًا، صرخات من الألم واللذة – خرجت كلمات متلعثمة من فم بدا صغيرًا على هذا اللسان: سُحُب في الأغلب واحدة، شجر مختلف، وسماء واحدة. هل قال (هيملر)؟

لا، قال سماء.

عاد الصبي للتصفيق بيديه، بالفعل، رقص رقصة غير ماهرة، كان تصفيقه على نغمة بطيئة واضحًا، وكذلك توجهه إلى الشجرة، إنها الوحيدة التي نجت من القنابل والحرائق، ومن القطع في الشتاء، شجرة كستناء بأوراق أشبه بالأخفاف الخضراء الصغيرة. تسلل الصبي إلى جذع الشجرة، وتحسس القشرة، وسيل من أصوات الغرغرة يخرج من فمه. عبر الشارع، وحرك ذراعيه كأنه يحاول الطيران، أطلق صيحات مبحوحة، تعقب الغربان، وقلد هتافهم.

مرت ثلاثة أشهر أو أربعة، اعتاد في غضونها ما ينبغي أن يكون طبيعيًّا مرة أخرى، بدأ الأطفال في إزعاجه. لم يفهموه. هددهم برفع قبضته، ولكن حتى وإن نجح في الإمساك بأحد الأطفال لم يضربه؛ بل كان يكتفي بقوله: اخلد إلى النوم بأدب! ثم قال: بهدوء!

لماذا النوم؟

© 2018 Litrix.de

هكذا تحدث الطفل: كنت الأصغر عمرًا، ودافعت عنه أطول وقت ممكن. كم كان المشهد عجيبًا حينما أراد إزاحة السحاب بالكناسة.
حينما بدأت أنا أيضًا في مضايقته، قالت الأم: لماذا تفعل ذلك؟
لأنه غريب.
لا، إنه ليس غريبًا ولا شريرًا. قد يكون لدى الأطفال قدرة على الشر، هو لا، لن يؤذي أحدًا، سيظل طفلًا بعض الشيء.
هكذا دار الحديث تقريبًا. ارتبط به شعور بالخجل، سببه خيانة شخص ما من أجل نيل إعجاب الآخرين.

أخفاه الوالدان في الشقة على مدار اثني عشر عامًا.
كان منزلًا للإيجار بثماني شقق، في الدور الرابع، الشقة الأخيرة في العمارة. عاش فيها شخصان وطفل. كان على الطفل البقاء في المنزل، وكان يجب الاكتفاء بتوزيع ما يكفي شخصين، وقد خصص لهما على بطاقة التموين: الزبدة، والخبز، والجبن، والخضروات والبطاطس. كان الطعام يكفي بالكاد شخصين، فما بالك بثلاثة أشخاص. تناول الصبي الكثير من الطعام، شعر بالجوع باستمرار، بحسب قول الأم، مثل الحصادة، بحسب قول الأب، الذي كان يُحضر من عمله بعض الطعام، والجزر، وقليلًا من الكرنب، وقطعة صابون، وفي مرات نادرة جدًا عسلًا. كان أحد زملاء الوالد في مصلحة شؤون المياه يمتلك، في حديقة منزله، خليتي نحل، وكان يعرف أمر الصبي ومخبأه. كان عسل النحل بمنزلة احتفالية.
هل كان المستأجرون يعلمون بالأمر؟ ربما واحد منهما أو اثنان، ربما القاطنون في الطابق الأسفل، الذين كانوا، بالتأكيد، يسمعون حركة أكثر من شخصين، حتى وإن ارتدوا الجوارب فقط. لم يفشوا السر. لقد كان مختلفًا بعض الشيء. كانوا سيقتلونه.
لقد التزموا الصمت.
هل كانوا سيلتزمون الصمت لو أن الأسرة يهودية؟
الفزع، ما لا يمكن النطق به.

يجب النطق به.

الأطلال. مرت الطرق في الصيف وسط تلال الحطام، كانت طرقًا مختصرة. تجول قاتل الحطام هناك. الرماد هناك، بقايا العظام هناك. بقايا الطوب. دوبالٌ. خضرة كثيفة، نبات الترمس، ونبات البلآن، حشيشة السعال أيضًا. تطايرت السحب الصغيرة من وسط المنخفضات، إنه الكرنب الأبيض. قال المتقدمون في العمر إن عدد الفراشات بلغ أقصاه في صيف عام ١٩٤٥. قالوا إنها حشرات ضارة. لقد التهمت الكرنب،

الذي كان محدودًا حينها، بشراهة كبيرة. كان الأطفال يصطادون هذه الحشرات، يضربونها بجذوع الصفصاف الرقيقة، تتهتك أجنحتها فتسقط على الأرض.
كنا نحن المنقذين، كنا نقتل الحشرات الضارة.

تمكنت من الطيران في الحلم. كان الأمر سهلًا. مددت ذراعيَّ، وسريعًا صرت في الهواء. في الأسفل: منازل، وشوارع، وشجر، المدرس السيد بلومنتال، الذي كان الشعر ينمو في أذنيه وثقوب أنفه، وهناك قائد الدراجة الذي كان يتأرجح وكاد أن يسقط، نعم سقط بالفعل. كنت أطير بمنتهى الاستمتاع. أتشوق إلى الفراش، أتشوق إلى الخلود إلى النوم.

بحسب ما أتذكر: كان كارلشن يمضغ مضغًا مستمرًا، يطحن فكه طحنًا بطيئًا، كأنه يمضغ لسانه. ضحكته تجعل وجهه أعرض.
بحسب ما أتذكر: سيارة جيب، كم كانت بسيطة، وكم كان التعرف على قدراتها سهلًا، إطاراتها بلا أي إضافات، عجلة القيادة، مقبض الغيار في السيارة، التروس على هيئة كرة معدنية مكشوفة فوق المحور الخلفي، الإطار البديل عند الباب الخلفي، وعلى الجانب الآخر مجراف، كان رفع الزجاج الأمامي متاحًا، ولم يكن للسيارة أي أبواب، ركب الضباط بمنتهي السهولة، في حالة سقوط الأمطار كان يُرفع غطاء مُثبت بقنطرتين لأعلى.
كان ضباط الاحتلال الإنجليزي في هامبورج يقودون أيضًا سيارة جيب، أما السيارة التي وقفت في شهر يوليو في شارع إيبندورفر فيج فكانت لها نجمة على غطاء محرك السيارة، وجلس في الأمام ضابط أمريكي بالبزة الكاكي الموحدة، وبنطال به ثنية قوية بالمكواة، بقي هذا المشهد في الذاكرة. كان يدخن. لم يكن السائق أسود، على الرغم من أنه سيتضح، لاحقًا، أن العديد من السائقين كانوا من السود، كان يوزع قطع اللبان. يا له من غرض ذاتي: طعم لا غير، مجرد تقليب بالملعقة، والمضغ –هذه الحركة الطاحنة في الوجه، التي كانت تهدئ الجسد. فاحت رائحة المطاط من السيارة، رائحة البنزين التي تصحبني منذ ذلك الحين، وهي ذكرى بعيدة عما هو مختلف وجديد.
الأمر المفاجئ أن الرجل صاحب الزي الموحد كان يفهمنا، ويتحدث اللغة الألمانية. سأل الرجل عن أسماء الأطفال. ذكروا أسماءهم الأولى وأعمارهم. كان كارلشن أكثر شجاعة، أو ربما الأكثر فضولًا، تحسس السطح المعدني، والإطارات والمرايا، ثم تحسس، بأصابعه المتبلدة، بزة الضابط برفق. سأله: ما اسمك؟ أجاب كارلشن: كارلشن. كان عليه ذكر اسمه مرة أخرى، كما أعاد طرح سؤاله: هل تستطيع السيارة القفز؟ ضحك الضابط، لا.
أهدى الضابط كارلشن شريطًا ملفوفًا في ورقة فضية، وحينما هم الصبي بوضعه في فمه، استعاده الضابط مرة أخرى، ونزع عنه الورقة، وأعطاه للصبي مرة أخرى. مضغ كارلشن الشريط، وأخذ يصفق بيديه.

مخرج الطريق

رغاوي فوق الأمواج، يقف شاب على السفينة، إنه في مهمة. اسمه هانزن، ميشائيل، سُمِّي على اسم الملاك الذي يحسبه الألمان لأنفسهم دون غيرهم. اختار أبوه اسمه الأول. هانزن شاب عادي غير ملفت للنظر. إنه طويل القامة، وتقول النساء عنه إنه وسيم. يوحي أسلوب سيره المستقيم بممارسته للرياضة، حركاته هادئة وتعبر عن قوة. إنه قادر على الاستماع للآخرين، وهذه فضيلة، كما يطرح الأسئلة. كلها صفات حميدة، ولكن لا شيء يلفت الانتباه.

يقف الشاب مع زميل له فوق السطح، ينظر إلى البحر أمامه، هذا المحيط الأطلنطي المغطى، الذي يمتزج مع السماء. نظراتهم مُجهدة، وهذه حال نظرات المتابعين من نقطة المراقبة فوق الجسر أيضًا. إنهم يبحثون عن الذئاب الرمادية. إنهم يبحثون عن منفاق أو منشاق، عن مجموعة الفقاقيع التي تنتج عن إلقاء القذائف المدمرة للسفن. لا يوجد ذئاب، يتعقبها الآن الرادار، وكذلك الطائرات والقنابل المائية. هذه السفينة، بلونها الرمادي الداكن، تنقل فرق الجيش، كانت سابقًا باخرة تنقل الركاب، بلون أبيض ناصع، وسرعتها تفوق سرعة هذه الذئاب.

هذا الشاب ضمن المجموعة التي استدعيت.

لماذا هو؟

إنه يتحدث اللغة الألمانية، ومعه رخصة قيادة.

من استدعاه؟

قسم الحرب النفسية (Psychological Warfare Division (PWD. ولكنه لا يعرف بهذا الأمر بعد.

تطوع، منذ سبعة أشهر، في الجيش الأمريكي، ودخل الفرقة المسؤولة عن شؤون الأخبار، يتضح ذلك من العلمين المرسومين باتجاه معاكس على أزرار زيه الموحد. حصل على مخلتين من تراز (أ) و (ب)، مربوطتين بحزام وخطاف البندقية الصغيرة، وكان عليه حملهما على كتفه. أنهى مرحلة التأهيل الأساسية، وتعلم طريقة نصب الفراش، وعرف معها تحرشات النظام: كان يجب شد غطاء الفراش لدرجة تتيح قفز عملة الربع سنت حينما يلقي المدرب بها فوق الفراش. تعلم الزحف وهو ممسكك ببندقيته أمامه، السير المتوازن فوق لوح خشبي، الزحف تحت الأسلاك الشائكة، تسلق الحوائط الخشبية، ممارسة تدريبات التوازن مرة أخرى، والسير وسط الغابات. كان قادرًا على مواكبة هذه التدريبات؛ إذ مارس لعبتي كرة السلة والتنس في جامعة واشنطن. تعلم إطلاق النار بالبندقية، واستُدعى إلى برنامج تأهيل الضباط بسبب تقييمه الجيد. تعلم التكتيك وتبليغ الأخبار، الذي يجب أن يتم سريعًا وبدقة وفي إيجاز، بحسب تعليمات العقيد المسؤول

عن مدرسة الأخبار؛ إذ لها دور حاسم في كل معركة. حتى أكثر الجنود شجاعة يضلون الطريق، حينما لا تصل التعليمات في وقتها، أو حين تكون غير دقيقة. ترجع الأعلام على الأزرار إلى مرحلة سابقة كانت الأوامر تُبعث خلالها عبر أعلام بإشارات تُحمل من جبل إلى آخر. أما الآن فالإمكانات المتاحة هي الاتصال بنظام مورس، والاتصال الهاتفي، واللاسلكي، فضلًا عن التشفير. وكذلك فك شفرات الاتصالات اللاسلكية للعدو. إنه التنوير؛ تقدير قوة فريق العدو، وخططه الهجومية، وحالته المزاجية.
قال العقيد: أنتم عقل هذه الفرقة وخلاياها العصبية. أما الآخرون، المشاة والمدفعية وفرقة الدبابات، فهم العضلات والأوتار والعظام.
أو الأفضل: أنتم الملائكة المبلغون لجميع الرسائل. ولكنكم ترون كل شيء، وتسمعونه. أنتم من تراقبون العدو. لا تعرفون مواقع الفرق فحسب، ولكن أيضًا تفكير العدو، وأهدافه، وحالته المزاجية.

أقسم هانزن، بعد مرور ستة أشهر، قسم الضابط، وصار ملازمًا ثانيًا. حالة أطلق عليها معجزة الأشهر الستة. بات مؤهلًا لمحاربة الألمان، الملتهمين للكرنب المخلل، والنازيين. كان أمريكيًّا، حتى وإن ولد في ألمانيا، لم يسأله أحد عن شعوره وهو ملزم بالمحاربة هناك، ناهيك عن الخوف من الضرر أو الموت هناك.

دارت النقاشات في منزل والديه، في رينجوود بالقرب من نيويورك. لماذا تطوع بعد دراسة الماجستير مباشرة؟ صحيح أنه كان سيُستدعى، ولكن كانت هناك سبل لإعفائه. ولكنها رغبته. خوف الأم التي قالت إن الحرب مزبلة. قالتها باللغة الألمانية، واستطردت: نعتني بشؤون الأطفال ونربيهم، بكل هذه الهموم وكل هذا العناء، ثم يأتي هؤلاء من فوقنا ليرسلوهم إلى الحرب، ويُطلق عليهم الرصاص. اعترض الأب أيضًا، ولكن لأسباب أخرى. كان قد قبل منذ سنوات بالجنسية الأمريكية، وتنازل عن جنسيته الألمانية، قال: لا يجب محاربة الدولة التي ولدت فيها، وفيها أقاربك بالدم.

ارتدى هانزن زيه الموحد، الضيق بعض الشيء، اختلفت طريقة الصنع والخامة عما كان يفترض أن يرتديه بوصفه شخصًا عاديًّا. ارتدى الآن سترة خضراء داكنة وبأزرار لامعة، وبنطالًا بمبيًّا، وقميصًا ورابطة عنق، وقبعة عليها صقر ذهبي اللون، وعلى الكتف شريط نحاسي صغير. كان الزي الموحد خفيفًا وعمليًا.

تعرف إلى كاثرين قبل سفره إلى أوروبا بثلاثة أشهر، قبل أعياد الميلاد بوقت وجيز، في القطار. أوقفت رياح الدمق حينها حركة المواصلات في نيويورك تمامًا.
كان قد حصل على إجازة لنهاية عطلة أسبوع مطولة. واكب بداية الرحلة سقوط للثلوج، وحينما دخل القطار إلى المحطة المركزية الكبرى، هبت عاصفة ثلجية شديدة. توقفت الحافلات وسيارات الأجرة، وكذلك القطارات في الضواحي، عن الحركة تمامًا. وقف مع سيدة شابة في مكان متفق عليه مسبقًا، أمام الساعة في القاعة

المغطاة. كانت جالسة في القطار بجانبه، والممر يفصل بينهما، ودار بينهما حديث بسيط. كان ينبغي أن يأتي صديقها ليأخذها من المحطة. أعطاها هانزن بعض العملات الفضية لاستخدام الهاتف، وعرفت من والدي صديقها أنه تحرك بالفعل، ولكنه اتصل بهما أثناء رحلته بسبب توقف حركة المواصلات.

ذهب هانزن معها إلى الحانة الصغيرة الواقعة على الجهة المقابلة لمحطة القطار، حيث وجدا مقعدين على منضدة معدنية غير ثابتة. انحشر الاثنان وسط جموع المسافرين العالقين. تكونت شبورة على النوافذ بسبب تعرق الملابس المبللة. رأيا من حين لآخر الأضواء الكاشفة لبعض السيارات المارة. تناولا الجعة معًا، وأصرت هي على اقتسام آخر سندوتش كان متاحًا للبيع، كان لديهمًا الوقت لتجاذب أطراف الحديث. نهضت، في أثناء ذلك، وطلبت منه العملة مرة أخرى لتجري اتصالًا هاتفيًا. رآها وهي واقفة بالقرب من البار وهي تتكلم في السماعة وتهز رأسها، هذا الشعر الكثيف بلونه البني الداكن وبريقه الأحمر الخفيف. بنطال رمادي ناعم، وبلوفر ثقيل فاتح اللون، بأشكال من الجدائل، أظهر نهديها بشكل خفيف. عادت وقالت إنها أبلغتهم باسم الحانة في حالة اتصال حوراس. هذا الاسم حوراس. واسمها هي؟ كاثرين. جلسا في هذه الحانة المزدحمة بتقارب ليس معتادًا مع قصر فترة التعارف. كان يشعر بذراعها يلمس جسده حينما تضحك، وكانت تضحك كثيرًا. تغيرت لغة الحديث من الإنجليزية إلى الألمانية. سألها هانزن عن مهنتها. قالت إنها تدرس الأنثروبولوجيا في جامعة كولومبيا، وإنها تحصل على دخلها من دروس اللغة الألمانية، خاصة للعسكريين الذين يذهبون إلى أوروبا. سألها إذا ما كانت أسرتها ألمانية. قالت لا، إنها فرنسية، وكانت أسرتها تتحدث الألمانية في المنزل، بلد منشأها هي الإلزاس. كان والدها قد أرسلها قبل أربع سنوات عبر إسبانيا إلى عم في أمريكا، وذلك بعد استسلام فرنسا. كان بمنزلة إجراء وقائي؛ إذ لم يكن التنبؤ بنهاية الحرب في هذه المرحلة ممكنًا. ضم الرايخ الألماني بعد الاستسلام منطقة الإلزاس إلى أرضه، وأجبرت أسرتها على قبول الجنسية الألمانية. ولكنها كانت أمانًا. أما أخوها فلم ينجح في ذلك؛ لأنه كان يحارب في الجيش الفرنسي، ودخل بعد هزيمة معسكر للأسرى في شرق بروسيا. جُند، فيما بعد، بجنسيته الألمانية في الجيش الألماني.

قالت: يا له من زمن، يا لها من فوضى. أتمنى أن يكون على قيد الحياة، أتمنى أن يكونوا على قيد الحياة. لم يصلها في الأشهر الثلاثة الماضية أي خبر من والديها.

وضع بدافع تلقائي يده على ذراعها وقال: الأمر الجيد في الأخبار السيئة أنها تصلنا أسرع. نظرت إليه. ثم قال: أنا أعمل في فريق الأخبار. ويجب أن أعرف ذلك. عرض عليها سيجارة، في حين أكدت هي بدورها أنها لا تدخن إلا في المناسبات الاحتفالية. هكذا جلس الاثنان لفترة جنبًا إلى جنب، يدخنان في صمت متوافق.

انفتح الباب بعد مرور ساعتين مرة أخرى، ودخل شاب مرتديًا معطفًا تغطيه حبات الثلج. قال "مرحبًا"، وعانق كاثرين، ومد يده لمصافحة هانزن، ضغط بقوة على يد هانزن، ورد هانزن مصافحته بالقوة نفسها. كانت تحية أشبه بقياس للقوة، واستشعر لاحقًا الحرج من هذا الموقف. تساءل إذا ما كان الشعور نفسه قد

انتاب الشخص الآخر. قالت: هذا حوراس، ردد تحيته، ثم قال إنه لا وقت للجلوس للأسف؛ لأنه لا يوجد مكان، والسبب الأهم أن السيارة واقفة في الممنوع، وعليهما التحرك سريعًا. أرادت دفع الحساب، وأراد حوراس الشيء ذاته. اعترض هانزن قائلًا إن الساندوتش قابل للاقتسام، أما ثمنه فلا، كان محقًا فيما قاله؛ لأن الرقم كان أحاديًا. سمح الوقت بتبادل العناوين. كتب لها عنوان المعسكر، ورقم هاتف منزل والديه. تأمل بعد رحيلها بطاقتها المكتوب عليها بخط مخروط: كاثرين فيكمان. شم رائحة البطاقة، عطر، رائحة بعيدة، ثم وضعها في جيبه، حينما وجد أنظار الجالسين من حوله موجهة إليه، نظر إلى وجوه متحفظة تطرح الأسئلة. ربما لم يكن مستحسنًا أن يتحدثا باللغة الألمانية بهذا الأسلوب المتوافق، بل والمتآمر. الاعتقاد بأنهما جواسيس ألمان أمر وارد؛ إذ كانت اللافتات في نيويورك تحذر منهم.

تبادل هانزن وكاثرين كتابة الرسائل في الأشهر الثلاثة التالية باللغة الألمانية؛ بحيث لا يتمكن الزملاء في معسكر التدريب من قراءة الرسائل. لم تكن أمورًا خاصة بكل حال، مجرد الإعراب عن الرغبة في اللقاء القريب. أعجبه أسلوبها في اللغة الألمانية، الذي تخللته عبارات قديمة: فلتصحبك السلامة.

قبل يومين من إبحاره إلى أوروبا فوق ناقلة الفرق العسكرية، التقى بها مساءً في مطعم (كينز ستيك هاوز). تجاذبا أطراف الحديث، وتناولا مشروبات الكحولية المخلوطة، وطلبا الطعام. أرادت عن تعرف طبيعة عمل أسرته.

كان السبب في مجيئهم إلى أمريكا قردًا.

ضحكت وظنتها مزحة.

حدث ذلك بالفعل. كان والده يعمل محنطًا، وقام في ألمانيا بتحنيط غوريلا عُرض في متحف برلين لعلوم الطبيعة. شاهد مدير متحف نيويورك لتاريخ الطبيعة القرد أثناء رحلة له إلى أوروبا، وأعجب بالمظهر الطبيعي لشكل الحيوان. تلقى الأب عرضًا من المتحف ليسافر إلى هناك، واستقدم عام ١٩٣٢، أي بعد مرور عامين، الأسرة؛ الأم، وأخته الكبيرة، وهو نفسه. رزقت والدته لاحقًا بطفل آخر، صبي جاء متأخرًا. قال عنه هانزن إنه كان طفلًا هادئًا وحالمًا، تظنه حزينًا على العالم القديم، الذي لم يعرفه قط.

يجب عدم إغفال أن الغوريلا اتسم بحيوية كانت تفزع زوار المتحف الذين كانوا يدخلون القاعة، بضوئها الخافت، دون علم بما ينتظرهم. يبدو أن نظرته كانت خبيثة للغاية وتنبض لذلك بهذه الحيوية. وقف بقوة فوق فرع شجرة، كأنه أراد في هذه اللحظة القفز لأعلى. حينما تأتي فصول مدارس الفتيات للزيارة يُغطى عضوه التناسلي بمئزر.

ضحكا كثيرًا على مدربي هانزن العسكريين، وعلى العريفين الصائحين، وعلى الزملاء. اعتاد هانزن طرح الأسئلة والاستماع إلى الآخرين، ولكن، مع تأثير المشروبات الكحولية المخلوطة، وتأثير ضحكتها العالية التي كانت تتلاشى كالنغمة، صار يحكي الكثير. أشعرته ضحكتها بالسعادة.

لحظة خروجهما من المطعم كان الوقت قد تأخر للحاق بالقطار المتوجه إلى رينجوود. من المفترض أن يبحث عن فندق، أو أن يذهب إلى دار الضباط.
عرضت عليه قضاء الليلة في الشقة التي تتقاسمها مع صديقة لها، على أن تبيت هي مع صديقتها معًا في غرفة واحدة.

استقبلتهما في الشقة شابة مرتدية بلوفرًا وبنطالًا، رفعت النظارة على شعرها.
هذه جيليان، وهي تستعد للامتحانات النهائية.
جلس الثلاثة حول المنضدة، وتبادلوا الأحاديث قليلًا.
قالت جيليان لكاثرين: يمكنك النوم على الأريكة إن أزعجك ضوء مصباحي.
فرشت كاثرين فراشها لينام هو عليه. كاد يخبرها تلقائيًّا أن هذا غير ضروري. كم تمنى النوم على ملاءتها المستخدمة. أحضرت له منشفتين. سمع لاحقًا همهمتها وهي في الحمام. جاءت وأطلت برأسها من الباب، ثم قالت له: إنه دورك. تحمَّم وجفف جسده، وظل يشم العطور إلى أن وجد رائحتها. ياسمين؟ أطفأ النور، وسمع من الغرفة المجاورة الحديث الهامس للسيدتين، ثم ساد فجأة هدوء تام. ظن أنها قد نامت هناك. سمع، وهو يستغرق في النوم، فتح الباب، دخل ضوء غير متوقع، ثم إغلاق الباب. دخلت إلى الغرفة حافية القدمين واستلقت بجانبه. همست: يجب على جيليان مواصلة الاستذكار، وأنا لا أستطيع النوم مع الضوء المشتعل. تلاحقت أنفاسها كأنها قد صعدت الدرج سريعًا. بعد لحظة: ولكن يجب أن نلتزم الهدوء.

وجه نحيف ومتناسق، شعر أشقر بفرق على اليسار. شاب بفم هادئ وعيون مشغولة بالتفكير. يجب أن نضع هذا المظهر في الاعتبار، خاصة مع المنعطف المفاجئ في ليلة الأمس، أمر غير متوقع، ولكنه انصاع للأمنيات. كان هناك أمر أيضًا آخر، لم يذكره أي منهما، رحلته المرتقبة إلى ساحات القتال الأوروبية، حيث كانت الحرب قد اقتربت هناك من النهاية، على عكس الأوضاع في المحيط الهادئ. لم يتحدثا عن المستقبل، حلت المحبة محل الكلمات.

انصرفت زميلة السكن مبكرًا، تحدثت كاثرين معها قليلًا، ثم عادت. ربما كان صوتنا عاليًا بالفعل؟ قالت: لا، لا يجب أن نقلق من جيليان مطلقًا. لقد ذهبت الصديقة إلى المكتبة. نحن، الآن، بحاجة إلى السعرات الحرارية، نحن بحاجة إلى عصير الفاكهة، والجبن المحمص، والبيض، والحليب.
نزلت بالمصعد. نظر هو من النافذة في الدور السابع إلى شارع ٧٦ ستريت ويست، وتمنى رؤيتها وهي خارجة. خابت توقعاته، يبدو أنها مشت على صف المنزل. تأمل الصورتين الفوتوغرافيتين في البرواز الفضي على مكتبها. أظهرت الصورة الأولى أسرة بملبس راقٍ، الرجل ببزة داكنة، والسيدة بفستان أبيض، في الأغلب والداها، الصبي، أخوها، بزي البحارة، والفتاة هي نفسها، بفستان أبيض. جلس في الصورة

© 2018 Litrix.de

الأخرى شاب عند دفة مركب شراعي. ضحك وأظهر العديد من الأسنان البيضاء، ظهر الفارق بين بشرته البنية اللون والفانلة البيضاء التي كان يرتديها. لم يتعرف هانزن حوراس في الحال؛ إذ حضر إلى الحانة متلفحًا ومبتلًا من الثلوج؛ لينقذهم من الفوضى الناتجة عن سقوط الثلوج، كما لم يبتسم وقتها هذه الابتسامة بالأسنان ناصعة البياض.

كانت الملابس والمركب الشراعي الكبير دليلين على انتمائه لأسرة ميسورة الحال.

عادت بكيس ورقي كبير إلى الغرفة. عانقها، جلبت معها رائحة الهواء المنعش، والشمس، انسدل شعرها وتخللته نسائم الهواء، وتبعثرت خصلاته. جلسا على المنضدة، وتناولا شرائح الخبز المقرمش والقهوة، وحينما مدت يدها إليه من فوق المنضدة سحبها إليه –وضعت هي ما تبقى من شريحة الخبز دون اهتمام على المنضدة.

اصطحبت كاثرين هانزن إلى القطار المتوجه إلى رينجوود. ثم سألها أخيرًا عن حوراس.

حوراس؟ نعم. قالت، بعد تردد، إنهما يخططان لخطوبتهما خلال شهرين. قيلت بقليل من الحياء. قالت، بعد فترة تردد أخرى، إنها يجب أن تخبر حوراس بما حدث. كلمة الندم. لا، ولكن يحزنها مجرد التفكير في حوراس، وتخشى الحوار القادم بالطبع. لا تعلم ما هو قادم، كيف لها أن تعلم ذلك.

حديث عن الفراق، كانت هذه هي لحظة الوداع. عناق طويل، طلب منها خلاله ألا تحضر في اليوم التالي إلى السفينة. يجب عليه هناك الاعتناء بأمه وأخواته وأبيه أيضًا، فضلًا عن أن لحظات الوداع، التي عاشها وهو صبي في محطات القطار وعلى الأرصفة، كانت معقدة للغاية، هذا الانتظار الذي يأخذ وقتًا طويلًا، الانتظار لوهلة، ثم الرحيل نهائيًا، ألا يكون كل ذلك تعذيبًا. لم تشاركه ذلك الرأي، ألا يكون الإحساس بالذات والآخر في أقوى صوره، خاصة وأن جزءًا من ذاتك ينفصل عنك.

حضرت على الرغم من ذلك. وقفت السفينة الناقلة للفرق العسكرية في منطقة هدسون، بطلاء رمادي، ونتوءات رمادية داكنة، طلاء تمويهي بطابع الاتجاه التكعيبي. تزاحم الجنود فوق سطح السفينة. صعد أصحاب الرتب المعاونة للفرق العسكرية بالجوالات فوق أكتافهم ممر الصعود. وقف الأقارب والأصدقاء على الرصيف. جاءت الصيحات من أعلى. قام بحارة بحمل صندوق الضابط الخاص بهانزن لأعلى. كان أستاذه قد أهداه للرحلة كتابين: كتاب إرنست بلوخ "آثار"، وكتاب إيتا هوفمان "قطع الليل" مع ثمانية وأربعين رسمًا لألفريد كوبين.

وقف هانزن مع والديه وأخته وأخيه الصغير، وذكر الأب له أسماء الأقارب الذين يجب على هانزن زيارتهم في حالة الاستسلام، وهو أمر لا شك فيه، وعده هانزن بذلك. قالت الأم: وعليك إرسال خطاب بمجرد وصولك. وعدها بذلك أيضًا. اكتشفها في هذه اللحظة. وقفت كاثرين بالفستان المزهر على الرصيف. ذهب

© 2018 Litrix.de

إليها، بل ركض إليها، وقال: كم هو جميل أنك حضرتِ. حينما أراد عناقها، قالت بحدة: لا تلمسني، أردت فقط وداعك. ولا تكتب! استدارت وانصرفت. كان الموقف مثل الصدام الجسدي.

وقف حائرًا من أمره، وفكر في الذهاب وراءها وسؤالها عن معنى هذا الرفض العنيف، خاصة وأنها جاءت لوداعه، ولكنها كانت في هذه اللحظة قد اختفت وسط جموع المنتظرين والملوحين. جاء أخوه الصغير إليه، وجذبه من يده إلى الوالدين والأخت. كانت إجاباته على الأسئلة والنصائح إجابات مرتبكة، إلى أن قال والده: أنت الآن في مكان بعيد جدًا، يجب عليك الرحيل الآن.